المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

صفات يهود بني النضير في ضوء سورة الحشر

دراسة موضوعية تحليلية

إعداد

د. مريم بنت نافل بن عواد الدويلة

الأستاذ المشارك بقسم التفسير والحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت- دولة الكويت

mariam.alduwellah@ku.edu.kw

Dr. Maryam Nafel Awad Al-Duwaila

Associate Professor Department of Interpretation and Hadith، College of Sharia and Islamic Studies، Kuwait University، State of Kuwait

الملخص:

فكرة البحث الرئيسة: الكشف عن الصفات الدنيئة لليهود بمثال واقعي ملموس- غزوة بني النضير- من خلال سورة لحشر. **أهمية البحث:** التأكيد على أن هذه الصفات الدنيئة طبع وخلق متأصل في اليهود ومستمر، كان ولا يزال فيهم، فآخرهم على منهاج أولهم في الغدر والخيانة، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] **وتتمثل إشكالية البحث:** كيف تؤثر استمرارية الصفات الدنيئة على وعي الأمة. **ويهدف البحث:** الكشف عن الصفات البارزة لليهود من سورة الحشر، بحيث تلتحم هذه الصفات إلى جانب الصفات التي ذُكِرَت عن اليهود في سائر مواضع القرآن الكريم، لهذا وقف الباحث على الألفاظ الدالة على ذلك مع كشف العلاقة بين الصياغة اللفظية والسياقية للسورة. **وقد اقتضت طبيعة البحث أن أسلك المنهج الاستقرائي** في الوقوف على الآيات التي تحدثت عن صفات اليهود في سورة الحشر، **وتحليلي استنباطي في دراسة هذه الآيات ودلالات الألفاظ في بيان وإيضاح هذه الصفات. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث:** أن النصر بيد الله تعالى وحده يمنحه لمن أخذ بأسبابه الشرعية واتقى وخير مثال ملموس ما وقع في غزوة بني النضير كما كشفتها سورة الحشر قال تعالى-:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾[الحشر: ٢]، **لذلك يرى الباحث:** إعداد دراسات عن أهم السور التي تناولت صفات اليهود وربطها بمحور السورة.

الكلمات المفتاحية: صفات اليهود، بني النضير، سورة الحشر.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

اليهود ألد أعداء الأمة الإسلامية، بنص كتاب الله تعالى، قال تعالى-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]؛ ولذا فإن الحديث عن صفات اليهود له نمط خاص لأننا نتحدث عن قوم لم تبق صفة قبيحة إلا وصفوا بها، ولشدة خطرهم أفرد لهم القرآن الكريم مساحة واسعة لم تخصص لغيرهم، وجاء بذكر جملة من صفاتهم في مواضع متفرقة، ومن تلك المواضع البارزة سورة الحشر التي عرضت لعدد من هذه الصفات في إطار حدث مفصلي هو غزوة بني النضير كاشفة عن جذورها العقدية والنفسية مثل:

الخداع وقسوة القلب والدهاء والمكر والجبن الشديد، والغدر بالعهود ونقض المواثيق، وتعلق قلوبهم بالأسباب المادية حتى بلغ بهم الظن أن حصونهم المنيعة تمنع قدر الله، قال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾[الحشر: ٢]؛ولما كان النصر بيد الله تعالى وحده يمنحه لمن أخذ بأسبابه الشرعية واتقى، حقق الله تعالى وعده، قال تعالى-: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ ،[الحج: ٤٠] فجاءت أحداث السورة ومقاطعها تدور حول بيان هذه الحقيقة وتكشف أن الدافع وراء تصرفات اليهود هو فقدانهم الميزان القويم الذي يمكنهم من التمييز بين الحق والباطل، وقد نشأ هذا الفقدان من انخداعهم بالمظاهر الدنيوية الزائفة.

ومن هذا المنطلق كان اختيار عنوان هذا البحث: "**صفات يهود بني النضير في ضوء سورة الحشر» دراسة موضوعية تحليلية**، سعيا لتقصي هذه الصفات كما رسمها القرآن في هذه السورة العظيمة وتحليل دلالاتها في ضوء سبب النزول والسياق العام لمقاصدها.

- **مشكلة البحث وأسئلته:**

تتمثّل مشكلةُ البحث في الحاجة إلى دراسة تحليليةٍ منهجية ترصد الصفات التفصيليةَ لليهود كما كشفت عنها سورةُ الحشر في ضوء سبب نزولها، وتُبيّن مدى اتِّصاف هذه الصفات بطابع العموم والاستمرارية، وتكشف عن العلاقة بين صياغتها اللفظية وسياقها المقاصدي.

- **أسئلة البحث:**

١- ما مدى مساهمة سورة الحشر في الكشف عن صفاتٍ دقيقةٍ لليهود، وهل الصفات الواردة فيها لا يزال الواقع المعاصر يصدِّقها؟

٢- ما أثر سبب نزول سورة الحشر في الكشف عن صفات اليهود؟

٣- لماذا خُتمت الآية الأولى من سورة الحشر بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وانتهت الآية الأخيرة بهذين الاسمين الجليلين؟ وهل لهذين الاسمين أثرٌ في بيان أحداث غزوة بني النضير ودلالاتها؟

- **أهداف البحث:**

١- الكشف عن الصفات الدقيقة لليهود في سورة الحشر، وإثبات امتدادها واستمرارها في الواقع المعاصر، بما يجعلها صفاتٍ ذات طابعٍ عامٍّ لا تقتصر على حدثٍ بعينه.

٢- بيان أثر سبب نزول سورة الحشر في توثيق صفات اليهود وتأصيلها من خلال أحداث غزوة بني النضير.

٣- بيان الأثر الدلالي لاسمَي الله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في السورة، وإظهار صلتهما بأحداث غزوة بني النضير ومآلاتها، وبيان قدرة الله النافذة وقوّته في توهين أعداء الله من اليهود والمشركين.

- **حدود البحث:**

يقتصر البحث على ربط مطلع السورة بخاتمتها ودراسة صفات اليهود كما وردت في سورة الحشر في المواضع التالية:

من الآية (٢) إلى الآية (٥)

ومن الآية (١١) إلى الآية (١٣)

ومن الآية (١٤) إلى الآية (١٧).

- **منهج البحث:** هو استقرائي في الوقوف على الآيات التي تحدثت عن صفات اليهود وتحليلي استنباطي في دراسة هذه الآيات ودلالات الألفاظ في بيان وإيضاح هذه الصفات، واستنباط الصفات النفسية والسلوكية لليهود من هذه الآيات مع ربط مطلع السورة بخاتمتها.

بعد البحث والتقصي وسؤال أهل الاختصاص والرجوع لمراكز الأبحاث لم أقف على بحث تناول صفات اليهود في ضوء سورة الحشر إلا أن هناك دراسات قيمة تعرضت لبعض جزئيات البحث بصورة عامة وهي:

١- "الشخصية اليهودية من خلال القرآن" للدكتور/ صلاح الخالدي.

٢- صفات اليهود كما يصورها القرآن. د. زكريا الزميلي.

دراسة تجمع الصفات (العقدية، التاريخية، الأخلاقية، والقتالية) لترسم صورة كاملة عنهم كما وردت في القرآن كله. أما البحث الذي بين أيدينا فإنه يتميز بـ: التخصص في السورة، والتحليل الموضوعي للصفات في سياقها التاريخي والقرآني وهو ما لم تنفرد به دراسة سابقة.

كما أن هناك دراسات اهتمت بدراسة سورة الحشر من جوانب متعددة منها:

١- أنواع التوحيد وثمرته في سورة الحشر – دراسة تحليلية للباحثة: بيان الحربي – مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٨٢ المجلد ١٠، أكتوبر ٢٠٢٣م

وقد تناولت الباحثة آيات التوحيد في ضوء سورة الحشر.

٢- فضائل الصحابة وحقوقهم في ضوء سورة الحشر- دراسة تحليلية

د. سعد المتولي – جامعة الأزهر – كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – ٢٠١٦م.

وعليه يسعى هذا البحث لسد ثغرة في المكتبة القرآنية من خلال التخصص في استقصاء وتحليل صفات اليهود خلال مواجهتهم للمسلمين كما قدمتها سورة الحشر بشكل مركز وممنهج.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة،

التمهيد وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: بين يدي السورة.
- المطلب الثاني: سبب النزول.
- المطلب الثالث: التعريف ببني النضير.

المبحث الأول: افتتاحية السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: براعة الاستهلال في قوله -تعالى-: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الحشر: ١].

- المطلب الثاني: مناسبة صفة العزة والحكمة في مطلع السورة مع ختامها.

المبحث الثاني: صفات اليهود في المقطع الأول من الآية (٢) إلى الآية (٥). وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.
- المطلب الثاني: أبرز الصفات التي تناولتها الآيات.

المبحث الثالث: صفات اليهود في المقطع الثاني من الآية (١١) إلى الآية (١٣) وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.
- المطلب الثاني: أبرز الصفات التي تناولتها الآيات.

المبحث الرابع: صفات اليهود في المقطع الثالث من الآية (١٤) إلى الآية (١٧) وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.
- المطلب الثاني: أبرز الصفات التي تناولتها الآيات.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- الفهارس: وتشتمل على المراجع والمصادر المعتمدة في البحث

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أسماء السورة:

سورة الحشر من السور المدنية[١] **وقد سميت بهذا الاسم لورود لفظ الحشر فيها، ولاتصالها بذكر حشر بني النضير واجلائهم من ديارهم** فعن سعيد بن جبير قال: "قلت لابن عباس: "سورة الحشر" قال: نزلت في بني النضير"[٢].

كما عرفت أيضا باسم سورة بني النضير، نظرا لما تضمنته من تفصيل أحداثهم وذكر مصيرهم، فعن سعيد بن جبير أيضا في رواية قال: «قلت لابن عباس: «سورة الحشر، قال: قل سورة بني النضير»[٣].

أهداف السورة:

لما كانت سورة الحشر من السور المدنية، فقد تضمنت أهدافا أساسية تتفق مع طبيعة المرحلة المدنية، ومن أبرز هذه الأهداف[٤]:

١-تقرير أن ما في السماوات وما في الأرض دال على تنزيه الله -تعالى-، وأن ملكوت السماوات والأرض جميعًا بيده، وهو الغالب المدبر.

٢-بيان صدق رسول الله ﷺ فيما أيده الله به من إجلاء بني النضير رغم ما كانوا عليه من قوة وعدة وحصون منيعة، وذلك من دلائل نصرته ﷺ.

٣-كشف حقيقة المنافقين، وبيان وعودهم الكاذبة لبني النضير، وأنهم خذلوهم وتخلوا عنهم ساعة الشدة.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر- د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٤٩٦/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الحشر — باب قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ ح (٤٨٨٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير (٣٢٩/٧) ح (٤٠٢٩).

(٤) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد] الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م، (٦٣/٢٨ - ٦٤).

٤- التنظير بين حال المنافقين مع اليهود، وحال الشيطان مع من يغويهم ثم يتبرأ منهم يوم القيامة، فكان عاقبة الجميع الخلود في النار.

٥- بيان ما فعله المسلمون من إتلاف أموال بني النضير، والأحكام الشرعية المتعلقة بها، وتحديد مستحقيها من المسلمين.

٦- ختم السورة بذكر صفات جليلة من صفات الله -تعالى-، وتسبيح جميع ما في السماوات والأرض له، تعريضًا بالكافرين وتنويهًا بحال المؤمنين.

كل هذه الأهداف أو المقاصد تشغل حيزًا واضحًا من مقاطع السورة ومحاور تدور أحداث السورة ومقاطعها حولها.

المطلب الثاني: سبب نزول السورة:

-السبب الأول: يعد المشهور للنزول من قول المفسرين أنها: نزلت في يهود بني النضير؛ وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالحه يهود بني النضير على: أن لا يقاتلوهم، ولا يقاتلوا معه عدوا(١).

فلما انتصر النبي ﷺ على كفار مكة في غزوة بدر الكبرى؛ قالت اليهود من بني النضير: "والله إنه النبي الموعود الذي قرأنا نعته وصفته الواضحة في التوراة، ومن صفاته أنه لا ترد له راية ولا يهزم أمام عدو، فلما هُزم النبي ﷺ والمسلمون في غزوة أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة، فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة، فأخبر جبريل الرسول ﷺ بذلك فأمر بقتل كعب، فقتله محمد بن مسلمة غيلة، وكان أخاه من الرضاعة، وذلك لأنهم نقضوا العهد مع النبي ﷺ، وأظهروا له العداوة والبغضاء كعادتهم، وظهرت عبارات الغدر على فلتات ألسنتهم، ولحون أقوالهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى استسلموا، ثم صالحهم النبي ﷺ على الجلاء من المدينة وترك منازلهم وأموالهم، فخربوا بيوتهم طمعا فيما فيها بأيديهم وأيدي المؤمنين"(٢).

-السبب الثاني: كان من أمر بني النضير في نقضهم العهد وغدرهم بالنبي ﷺ حيث هموا

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي. أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٢م. ص (٤١٦).

(٢) المصدر السابق. الصفحة نفسها.

بقتله بإلقاء صخرة عليه، لما جاء يستعينهم في دية القتيلين من بن عامر، فجاء الوحي من ربه فخرج من بينهم ثم بعث إليهم أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها وقد أجلتكم كذا فمن وجدت بعد ذلك ضربت عنقه"(١).

ففي هذا السبب يتبين السبب العام الذي نزلت من أجله السورة.

-السبب الثالث: هو سبب نزول قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ [الحشر: ٥] وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل فحاصر يهود بني النضير وتحصنوا كعادتهم في حصونهم التليدة ظانين أن الحصون تمنعهم من الله، فأمر النبي ﷺ بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله من اليهود والمنافقين، وقالوا: زعمت يا محمد أنك تبتغي الصلاح والإصلاح، أفمن الصلاح يا محمد قطع هذا الشجر المثمر، وقطع هذا النخيل الباسق؟ ... الى آخره"(٢).

ويؤيد هذا السبب ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "حَرَّق رسول الله نخل بني النضير وقطَّع، وهي البُويرة(٣) " فنزلت ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ [الحشر: ٥]"(٤).

"أما هذا السبب يعد سببًا خاصًا في حادثة تمت أثناء السبب الرئيسي غزوة بني النضير، حيث عمد المسلمون إلى ما زرعه بنو النضير من النخيل فقطعوا منها ما أغاظ قلوب اليهود ولم يكن فسادًا فلما احتجوا على ما فعله المسلمون، فنزلت هذه الآية"(٥) .

المطلب الثالث: التعريف بيهود بني النضير:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (٥٧/٨ – ٥٨).

لا مانع من تعدد الأسباب والنزول واحد، ينظر بالتفصيل:

الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١١٨/١).

(٢) أسباب النزول، ص (٤١٧).

(٣) البُويرة: "مصغر بُؤرة وهي الحفرة، وهي هنا مكان معروف بين المدينة وبين تيماء، وهي من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب" فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٧/ ٣٣٣) ط. السلفية.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ومخرج رسول الله ﷺإليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ(٨٨/٥)، برقم ٤٠٣١.

(٥) جامع البيان، (٢٢/ ٥١٢).

يهود بني النضير: "قبيلةٌ من اليهودِ استوطنُوا بلاد العربِ هم وبنُو عمهمْ قُرِيظَةُ، ويَهُودُ خَيْبَرَ، وكلُّهم من ذُرّية هارُون عليه السلام وكان يُقال لِبَني النضيرِ وبَني قُرِيظَةَ: الكاهِنانِ؛ لأنَّ كُلَّ فَرِيقٍ منهُمَا مِن ذُرِيّةِ هارونَ وهو كاهن الملة الإسرائيلية. والكهانةُ: حفظ أمُور الدّيانة بيده ويَد أعقابِهِ"(١).

ولما هاجر النبي ﷺ والمسلمون إلى المدينة دخل بنو النضير في العهد الذي أبرمه النبي ﷺ مع اليهود حيث "اشترط عليهم ألا يقاتلوهم ولا يقاتلوا معه عدوا"(٢).

غير أن الوقائع التاريخية كشفت أنهم لم يوفوا بهذا العهد حق الوفاء، بل ظلوا يترصدون الفرص لنقضه، فلما واتتهم الفرصة لم يترددوا في الغدر والنكوث.

هذا وقد كانت عدة أسباب حملت النبي ﷺ على غزو بني النضير وإجلائهم ومن أهمها(٣):

نقض العهد، ومحاولة قتل النبي ﷺ.

ولذا أمر النبي ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والمسير إليهم، ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون "وتنادوا إلى الحرب ودَسّ إليهم عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرجوا من قريتهم وقال: إنْ قاتلكم المسلمون فنحن معكم ولَنَنْصرَنّكم وإن أُخرجتم لنخرجن معكم، فَدَرَّبُوا على الأزقة – أي سدوا منافذ بعضها لبعض ليكون كل دَرْبٍ منها صالحاً للمدافعة- وحصنوها، ووعدهم أنّ معهُ ألفين من قومه ومن غيرهم، وأنّ معهم قُريظة وحُلفائهم من غَطَفان من العرب فحاصرهم النبي ﷺ وانتظروا عبد الله بن أبي بن سلول وقُريظة وغَطفان أن يَقْدَموا إليهم ليَردوا عنهم جيش المسلمين فلما رَأوا أنهم لم ينجدوهم قذف الله قلوبهم الرعب فَطَلبوا من النبي ﷺ الصلح فأَبى إلا الجلاء عن ديارهم وتشارطوا على أن يخرجوا ويحمل كل ثلاثة أبيات منهم حِمل بعير ممَّا شاءوا من متاعهم ، فجعلوا يُخربونَ بيوتَهم ليحملوا معهم ما ينتفعون به من الخشب والأبواب. فخرجوا فمنهم من لحق بخيبر، وقليلٌ منهم لحقوا ببلاد الشام في مُدن أريحا وأذرعات من أرض الشام وخرج قليل منهم إلى الحيرة"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/٦٦).

(٢) أسباب النزول، الواحدي، ص (٤١٦).

(٣) انظر: المطلب الثاني (سبب نزول السورة).

(٤) التحرير والتنوير، (٢٨/٦٨).

المبحث الأول: افتتاحية السورة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: براعة الاستهلال في قوله –تعالى–: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الحشر: ١].

أجملت افتتاحية سورة الحشر الأسس والموازين التي تقوم بها المفاهيم والموازين التي تحكم التصرفات والسلوك الإنساني في السورة.

فقد أخبر الله في افتتاحية السورة أن جميع المخلوقات تسبح له وتقدسه وتخضع له وهذا التسبيح يحمل عدة دلالات وحقائق أساسية يمكن إجمال بعضها على النحو التالي:

١- تنزيه الذات الإلهية، "وأول التنزيه هو نفي الشرك له في الإلهية، فإن الوحدانية هي أكبر صفة ضل في كنهها المشركون وأهل الكتاب ونحوهم، وهي الصفة التي ينبئ عنها اسمه العَلَم "الله" أي المنفرد بالإلهية"[(١)] وهذا يستلزم الإقرار بأن لا أحد يعجزه أو يفلت من قدرته وبنوا النضير ظنوا أن حصونهم تمنعهم من الله فجاء التسبيح في المطلع ردا مسبقاً على هذا الوهم.

٢- الانقياد لله –تعالى– والدلالة على وجوده وعظمته وكمال ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء: ٤٤]. فهذا الشمول التام للكون كله يلمح إلى أن بني النضير داخلون في هذا الملك لا يملكون حصنا ولا أرضا ولا قوة إلا بإذنه وهذا يمهد لقوله تعالى لاحقاً: {هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب....} فهو سبحانه العزيز لا بنو النضير وهو الحكيم في إجلاء بني النضير جزاءً على نقضهم العهد فالآية الأولى وحدها تحمل في طياتها خلاصة السورة كلها قبل أن تُذكر القصة وهذا هو جوهر براعة الاستهلال.

٣- التعبد لله والصلاة له، كما قال –تعالى–: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ٦٤)

ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾[طه: ١٣]

فكان ذلك "تذكيرا للمؤمنين بتسبيحهم الله تسبيح شكر على ما أنالهم من فتح بلاد بني النضير فكأنه قال سبحوا لله كما سبح له ما في السماوات والأرض وتعريض بأولئك الذين نزلت السورة فيهم بأنه أصابهم ما أصابهم لتكبرهم عن تسبيح الله حق تسبيحه بتصديق رسوله ﷺ إذ أعرضوا عن النظر في دلائل رسالته أو كابروا عن معرفتها"(١)، ويؤكد هذا المعنى ما ذكره ابن كثير فيقول: "يخبر -تعالى- أن جميع ما في السماوات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلي له ويوحده"(٢)، هذا واستخدام صيغة الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ للدلالة على أن تنزيهه تعالى أمر مقرر أمر الله به عباده من قبل وألهمه الناس وأودع دلائله في أحوال ما لا اختيار له، كما دل عليه قوله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾ [الرعد: ١٥]" (٣).

كما أن استخدام صيغة الماضي في ﴿سَبَّحَ﴾ لفظا مع دلالتها على الحال والاستقبال فيه إيحاء "بنعمة مضت وهي نعمة الإخراج"(٤) مما يناسب سياق السورة، ويشير البقاعي أن مثل هذا التنزيه ﴿سَبَّحَ﴾ مما يرد "إثر جريمة تقع من العباد، وعظيمة يرتكبونها، وتأمل ذلك حيث وقع ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل تعالى بأهل الكتاب مما يتصل بما تقدم ثم تناسجت الآي"(٥)، وأيضًا "فافتتاح السُّورة بذكر تَسبيح اللهِ وتنزيهه مُؤذِنٌ بأنَّ أهمَّ ما اشتملت عليه إثباتُ وصف الله بالصّفات الجليلةِ المقتضيةِ أنَّه منزَّهٌ عمَّا ضلَّ في شأنه أهل الضلالِ – كاليهود ونحوهم- مِن وصفِه بما لا يَليقُ بجلالِه، وأوَّلُ التنزيه هو نفيُ الشَّريكِ له في الإلهية؛ فإنَّ الوحدانيَّة هي أكبرُ صِفةٍ ضلَّ في كُنهِها المشركون، وهي الصِّفةُ التي يُنبِئُ عنها اسمه العَلَمُ (الله)؛

(١) المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسيهما.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٥٦/٨)

(٣) التحرير والتنوير، (٢٧/ ٣٥٦)

(٤) المرجع السابق، (٢٨/ ٦٤)

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، ط ١، (١٣٨٩ - ١٤٠٤ هـ)، (١٩/ ٤٠٤).

لأنّ أصلَه الإلهُ، أي: المنفردُ بالإلهية، وأُتبعَ هذا الاسمُ بصِفاتٍ ربانية – العزيز الحكيم- لتدلَّ على كَمالِ اللهِ تعالى، وتنَزُّهِه عن النَّقص، فكانت هذه الفاتحةُ براعة استهلالٍ لهذه السورة"(١).

المطلب الثاني: مناسبة صفة العزّة والحكمة في مطلع السورة مع ختامها:

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

تعد سورة الحشر نموذجًا مميزًا في التناسب حيث تكرار وصف الله -تعالى-: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في المطلع والختام "فالعزيز اسم من أسماء الله ﷻ مشتق من العزة يدل على أن له ﷻ كمال العزة بأنواعها الثلاثة: عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر، قال تعالى: ﴿فلله العزة جميعا﴾(٢)، و﴿الْحَكِيمُ﴾: اسم من أسماء الله ﷻ مشتق من الحكم والحكمة يدل على أن له عز وجل الحكم التام بأقسامه الثلاثة: الحكم الكوني، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي في الآخرة، وأن له الحكمة البالغة بقسميها: الحكمة الغائية، والحكمة الصورية"(٣)،(٤).

واجتماع هذين الاسمين في مطلع وختام السورة لهما دلالة بالغة "فاسم الله ﴿الْعَزِيزُ﴾ من الأسماء التي تبعث في قلب من فقه معناها الخوف والوجل الشديد وهنا يأتي اسم الله ﴿الْحَكِيمُ﴾ ليذهب هذا الخوف، فالله سبحانه مع عزته وكمال قوته وغلبته وتفرده بالملك والتدبير حكيم يضع الأمور في مواضعها"(٥)

حيث ظهرت العزة الإلهية على قوة اليهود وحصونهم كما كان من حكمة الله تعالى أن يحكم عليهم بالخروج لا الإبادة ليكون ذلك شاهدا لهم عما لحق بهم من الذل، وعبرة للآخرين.

وهذا التناسب اللفظي والمعنوي بين هذين الاسمين ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أشار إليه ابن جرير الطبري بقوله: "وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه الحكيم في تدبيره

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٧/ ٣٥٦)

(٢) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين على الكافية الشافية، السعدي، (ص٤٤).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها، اللاحم، سليمان. عون الرحمن في تفسير القرآن، (٢١/٤٨٣).

(٤) – الحكم الشرعي ديني: ما جاءت به الرسل من الأوامر والنواهي. الحكم الكوني: ما يتعلق بالخلق والتكوين.

– الحكمة الصورية: بمعنى أن كون هذا الشيء على هذه الصورة المعينة موافق للحكمة.

– الحكمة الغائية: بأن الغاية من هذا الشيء حكمة يُحمد الله تعالى عليها. ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، (١/١٧).

(٥) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الجربوع، عبد الله (٣/١٠٠٢) .

إياهم"[١].

فكان في "إخراب ديار بني النضير وجزاء صنعهم برهانًا على كمال عزته وحكمته، وختمها بذلك ليكون ما فيها من ذكر الأسماء الحسنى مظهرًا لكمال عظمته وحكمته[٢].

فكانت "السورة كلها شرح للعزيز الحكيم فما في أولها من الإخراب والقتال والإخراج بيان لعزته، وما في أثنائها من التفصيل في أحكام الفيء الصدقات بيان لحكمته، وما في آخرها من الأسماء الحسنى التي انتهت بـ(العزيز الحكيم) إلا بيان لكمال ذاته وصفاته"[٣].

وبالتأمل في هذا يدرك الموفق أن هذا الكون يسير بنظام دقيق متقن منضبط من صنع الحكيم العزيز، ويدرك أن ما وقع من أحداث وأحكام في هذه السورة ما كانت إلا لحكمة وهدف وغاية وهي عبادة الله سبحانه وتعالى والذل والخضوع لله العزيز الحكيم.

(١)جامع البيان، (٢٢/٤٩٦).

(٢) نظم الدرر، (١٨/ ١٠).

(٣) المرجع السابق (١٨/ ٤٥)

المبحث الثاني: صفات اليهود في المقطع الأول من الآية (٣) إلى الآية (٥):

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الحشر: ٢ - ٥].

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما قال تعالى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١] بيَّن بعض آثار عزَّته، وأحكام حِكمته[١]، "ودلَّ عليهما بدَليلٍ شُهُوديٍّ من أنه أنفَذَ ما كَتبَ مِن أَنَّه يَغلِبُ هو ورسُلُه، ومِن أنَّه كَبَتَ الذين حادُّوه، وخَيَّبَ ظَنَّ الذين نافَقوا، فتولَّوُا اليهودَ من أهل الكتابِ؛ ليعتزُّوا بهم، فأذَلَّ اليهود وطردهم من مَهبِطَ الوحيِ، وأخزَى المنافقينَ الذين جَعلوهم مَحَطَّ اعتمادهم، ومَوضِعَ وَلايتهم ووِدادهم"[٢].

وقد بين أبو السعود وجه المناسبة بقوله: "بيانٌ لبعض آثارِ عِزَّتهُ تعالى وأحكامِ حكْمَتِهِ إثْرَ وصفِهِ تَعالى بالعزَّةِ القاهرَةِ والحِكمَةِ الباهِرَة على الإطلاق، والضَّميرُ راجعٌ إليْه تعالى بذَلكَ العُنْوانِ إمَّا على كَمالِ ظُهُورِ اتِّصافِهِ تعالى بهما مع مُساعدَةٍ تامَّةٍ من المقام أو على جعْلِهِ مُستعارًا لاسم الإشارة ... كأنه قيل: ذَلك المنعوتُ بالعزَّةِ والحكمَةِ الذي أخرجَ... إلخ. ففيهِ إشعارٌ بأنَّ في الإخْراجِ حِكمَةً باهِرَةً"[٣]

كما دلَّ الله -سبحانه- على عزته وحكمته بما فعَلَ ببني النضير الذين يقولون: «إنَّهم أشجعُ النّاس، وأشدهم شكيمة، بما لهم من الأصالةِ والاصطفاء على العالمين، مع التأييد بالكتاب والحكمة، وختَم بأنّ من شاقّ رسولَه فقد شاقَّه، ومَن شاقَّه فقد شدَّد عقابه أتبعه

(١)تفسير المراغي، شركة مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٤٦م، (٢٨/٣٣).

(٢) نظم الدرر (١٩/ ٤٠٦).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار حياء التراث العربي ، بيروت (٨/ ٢٢٥).

ببيان ما عاقبهم به من قطع الصّحابة رضي الله عنهم بأمر النبي ﷺ لنخلهم الذي هو أعزّ عليهم من أبكارهم، وهم ينظرون إليه لا يغنون شيئا، ولا منعة لديهم»[(١)].

المطلب الثاني: أبرز الصفات التي تناولتها الآيات:

تكشف الآيات الكريمات جملة من الصفات التي اتسم بها يهود بني النضير، والتي أصبحت عبرة للأمَّة الإسلامية في كل زمان ومكان، ومن أبرز هذه الصفات:

١- **كفر الجحود:** قال -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

أي: "الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ من أهل الكتاب وهو يهود بني النضير"[(٢)] ، هذا و"الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحودا وعنادًا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه[(٣)].

ووسموا بالذين كفروا لأنهم كفروا بمحمد ﷺ تسجيلا عليهم بهذا الوصف الذميم وقد وصفوا بالذين كفروا في قوله –تعالى-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾ [البقرة : ٨٩]، فحرف "من" في قوله ﴿ مِنۡ أَهۡلِ الۡكِتَابِ﴾ بيانية لأن المراد بأهل الكتاب هنا خصوص اليهود أي الذين كفروا برسالة محمد ﷺ وهم أهل الكتاب وأراد بهم اليهود، فوصفوا بـ"من أهل الكتاب" لئلا يظن أن المراد بـ"الذين كفروا" المشركين بمكة أو بقية المشركين بالمدينة، فيظن أن الكلام وعيد..."[(٤)].

قوله: ﴿مِنۡ دِيَارِهِمۡ﴾: وذلك خروجهم من منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم ويخلوا له دورهم وسائر أموالهم فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك فخرجوا من ديارهم فمنهم من خرج إلى

---

(١) نظم الدرر، (١٩/٤١٥).

(٢) جامع البيان، الطبري (٢٣/٢٥٩).

(٣) الصلاة، ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: عدنان البخاري، راجعه: سليمان العمير وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – الطبعة الرابعة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، (٣/ ٥٣٥)

(٤) التحرير والتنوير، (٢٨/٦٧-٦٦).

الشام ومنهم من خرج إلى خيبر"[١]

وقوله -تعالى-: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ لأول الجمع في الدنيا وذلك حشرهم إلى أرض الشام"[٢]

قال السعدي: "ودلت الآية على أن لهم حشرًا وجلاءً غير هذا فقد وقع حين أجلاهم النبي ﷺ من خيبر ثم عمر ﷺ أخرج بقيتهم منها"[٣]

وقوله -تعالى-: ﴿ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ ﴾ "هذا خطاب للمسلمين؛ أي: ما ظننتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم لعزتهم ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون مانعة وعقار ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة"[٤] ولكن الله تعالى هو القادر على كل شيء

هذا وإنما ذكر الله تعالى ذلك تعظيما لهذه النعمة، فإن النعمة إذا وردت على المرء والظن بخلافه تكون أعظم فالمسلمون ما ظنوا أنهم يصلوا إلى مرادهم من خروج هؤلاء اليهود فيتخلصون من ضرر منابذتهم، فلما يسر لهم ذلك كان وقع هذه النعمة أعظم"[٥]

وتعريف (من) أي الجملة بالضمير والموصول يفيد قصر صفة إخراج الذين كفروا من ديارهم عليه تعالى، وهو قصر ادعائي لعدم الاعتداد بسعي المؤمنين في ذلك الإخراج ومعالجتهم بعض أسبابه كتخريب ديار بني النضير"[٦]

٢- صفة الغرور والاعتماد على القوة المادية:

قوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ تكشف هذه الآية عن سمة نفسية وهي الغرور والثقة الزائدة بالوسائل المادية (الحصون المنيعة) والاعتقاد بأنها قادرة على تحدي إرادة الله تعالى وقدرته إنه وهم قائم على الفصل بين الأسباب الظاهر والسبب الحقيقي وهو الله تعالى.

---

(١) جامع البيان، (٢٣/٢٥٩)

(٢) المرجع السابق ص (٢٦٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٨٤٨) .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ، (٥/ ٢١٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٩/٥٠٢).

(٦) التحرير والتنوير، (٢٨ / ٦٧).

يقول السعدي: "أعجبوا بها وغرتهم وحسبوا أنهم لا ينالون بها ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله تعالى وراء ذلك كله لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تجدي فيهم القوة والدفاع"(١)

يقول الزمخشري: "وفي تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسمًا لـ"أن" وإسنادا الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم"(٢) فاغتروا بقوله واعتمدوا على أسبابهم المادية ونسوا أن الأسباب بيد الله تعالى وأن قوة الله فوق قوتهم.

٣- الغفلة والجهل بمكر الله وقوته:

"ومكر الله سبحانه وتعالى هو: إيصال العقوبة إلى من يستحقُّها من حيث لا يشعر. وهو عدلٌ منه سبحانه وتعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النمل: ٥٠]؛ فالمكر في حق الله سبحانه وتعالى عدل وجزاء يحمد عليه. أما المكر من المخلوقين فهو مذموم لأنه بغير حق"(٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾ أي: أتاهم أمر الله من حيث لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره من تلك الجهة وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقيل هو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإن قتله أضعف شوكتهم"(٤).

ولا تعارض فيما بينهما فإن قتل كعب بن الأشرف سبب من الأسباب التي أدت إلى انهزامهم من الداخل بعد أن نزل فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وحاصرهم.

والمعنى: أتاهم من داخل أنفسهم! لا من داخل حصونهم! أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب، ففتحوا حصونهم بأيديهم! وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم، ولا يحكمون قلوبهم، ولا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٤٨).

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م، (٤/ ٧٩).

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (٢/٧٠).

(٤) فتح القدير، (٥/٢٣٢).

يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم! فضلاً على أن يمتنعوا عليه ببنيانهم وحصونهم، وقد كانوا يحسبون حساب كل شيء إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم. فهم لم يحتسبوا هذه الجهة التي أتاهم الله منها.

هذا والاحتساب مبالغة في الحسبان – أي: الظن – أي: من مكان لم يظنوه؛ لأنهم قصروا استعدادهم على التحصين والمنعة أن قوة الله فوق قوتهم"(١)، كما قال –تعالى–: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[النحل: ٢٦].

وقال –تعالى–: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر: ٤٧].

٤– الخوف بعد العزة:

قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ "أي: الخوف والهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصر بالرعب مسيرة شهر، صلوات الله وسلامه عليه"(٢)

فعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–، أن النبي ﷺ قال: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"(٣)

قال ابن عاشور: "القذف الرمي بقوة، وهو معبر عن الحصول العاجل، أي: حصل الرعب في قلوبهم، دفعة دون سابق تأمل، ولا حصول مسبب للرعب... والمعنى: وجعل الله الرعب في قلوبهم، فأسرعوا بالاستسلام، وقذف الرعب في قلوبهم هو من أحوال إتيان الله إياهم من حيث لم يحتسبوا"(٤)

و"الرعب: الخوف الذي يرعب الصدر، أي يملأه، وقذفه: إثباته وركزة"(٥)

قال السعدي: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عدد ولا عده ولا قوه، ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه، ويظنون أن

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ٦٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٥٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ «نصرت بالرعب» (١٢٨/٦) ح(١٢٢) .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، (٧١/٢٨).

(٥) الكشاف، (٧٠٩/٢).

الخلل يدخل عليهم منه إن دخل، هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله كان وبالًا عليه، فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم.." (١).

ولهذا "أرسلوا إليه نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وقبض النبي ﷺ الأموال"(٢).

٥- المشاركة في التخريب الذاتي:

وقوله -تعالى-:﴿ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾: "بني النضير من اليهود، وأنهم يخربون مساكنهم وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذكر من منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين"(٣)

يقول ابن جزي: "أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله ﴿يُخْرِبُونَ﴾؛ لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم"(٤)

هذا ولما كان من الغرابة أن يفعل الإنسان في نفسه كما فعل عدوه سبب عن ذلك"(٥)، قوله: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرف بها شيء آخر من جنسها"(٦)، والمعنى: فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحل الله بهؤلاء اليهود الذين قذف في قلوبهم الرعب وهم في حصونهم من نقمته، واعلموا أن الله ولي من والاه، وناصر رسوله صلى الله عليه وسلم – على من ناوأه، ومحلٌّ من نقمته به نظير الذي أحل ببني النضير(٧). وإنما عني

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٤٨).

(٢) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، زاد المعاد من هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢٧، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م ، (٣١١٦).

(٣) جامع البيان، (٢٦٠/٢٣)

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، المحقق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ، (٢/ ٣٥٧).

(٥) نظم الدرر، (٤١٠/١٩).

(٦) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج بن محمد، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ١ - ١٤٢٢ هـ ، (٢٥٥/٤).

(٧) وهذا المغزى الرئيسي الذي ينبغي أن يستقر في ذهن المتدبر لآيات الله تعالى في كل زمان ومكان.

بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون"[١]

٦- صفة الجلاء دون القتل

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ "الواو: استئنافية و"لولا" شرطية غير جازمة وهي: حرف امتناع لوجود "كتب" "لعذبهم في الدنيا": جواب لولا"[٢]، والمعنى: "ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بني النضير في أم الكتاب الجلاء، وهو الانتقال من موضع إلى موضع، وبلدة إلى أخرى، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل بإخوانهم من بني قريظة – ولكنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل، وجعل عذابهم في الدنيا هو الجلاء"[٣]

فدل لفظ كتب على أن الجلاء أمر مكتوب سابق لم يكن لأمر طارئا، بل كان تنفيذًا لقضاء الله المكتوب الذي أجّل إلى هذا الوقت بعينه.

هذا و"كان النضير من سبط لم يُصبهم جلاءٌ فيما مضى، وكان الله قد كتاب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذَّبهم في الدنيا بالقتل والسبي"[٤].

وقد أضاف القرطبي دليلا إضافيا على إيثار الجلاء على القتل بقوله: "لولا أنه قضى أنه سيجليهم عن دارهم وأنهم يبقون مدة فيؤمن بعضُهم ويُولد لهم من يؤمن – لعذبهم في الدنيا أي بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة"[٥].

هذا وقد كانت وجهتهم "إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام"[٦].

قوله: ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾: استئناف غير متعلق بجواب (لولا)؛ جيء به لبيان

---

(١) جامع البيان، (٢٣/٢٦٠).

(٢) محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (١/٣٤) باختصار.

(٣) ينظر: جامع البيان، (٢٣/٢٦٠).

(٤) جامع البيان، (٢٢/٣٨٠) عن معمر عن الزهري.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ج ١٨، ص (٩-٨) (عند تفسير الآية الثالثة من سورة الحشر).

(٦) ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت. (د. ط) (د.ت) (٣/١٨٤).

إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة"[١].

٩- صفة المشاقة والمعاداة لله – عز وجل- ورسوله ﷺ

المشاقة في اللغة: "أن يصير كلُّ واحدٍ في شِق، أي في جانبٍ أو ناحيةٍ، يقال: شاقَّه إذا خالفه"[٢].

وقد جاء لفظ "شاقوا" على صيغة "فاعل"، وهي صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة؛ أي أنهم اتخذوا موقفا مقابلاً لموقف الله ورسوله، ووضعوا أنفسهم في جهة مضادة. كما تُفيد هذه الصيغة أن هذا الموقف المعادي لم يكن عارضا طارئًا، بل كان مقصودا متعمدًا مستمرًّا.

قال ابن عاشور مبيّنا هذه الدلالة الصرفية:

"والمشاقّةُ مُفاعَلةٌ من الشّق، وهو الجانب، وحقيقتها أن يكون كلا المتشاقين في شق، أي كلُّ واحد في جانب يخالف جانب الآخر. وهي هنا مستعملة في معنى الشدة في المخالفة؛ لأن المفاعلة تدلُّ على المبالغة"[٣].

هذا ولما أخبر الله تعالى بما نالهم في الدنيا وينالهم في الآخرة"[٤] علله بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ ﴾ [الحشر: ٤] أي: إنما استحق اليهود لما سبق "من إخراج الذين كفروا من ديارهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وتخريب بيوتهم وإعداد العذاب لهم في الآخرة"[٥]؛ "لأنهم خالفوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزله الله على رُسُله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم"[٦]، قال -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

---

(١) أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت ، (٨/ ٢٢٦).

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن. تحقيق : صفوان عدنان الداودي. دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ، ص (٤٦١).

(٣) التحرير والتنوير، (٢٨/٧٥).

(٤) نظم الدرر، (١٩/٤١٣).

(٥) التحرير والتنوير، (٢٨/٧٥).

(٦) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٦١).

هذا "وعُطِفَ اسمُ ﷺ على اسمِ الجلالة؛ لقصْدِ تَعظيم شأنِ الرَّسولِ ﷺ، ليَعلموا أنَّ طاعتَه طاعةُ الله؛ لأنَّه إنَّما يَدعو إلى ما أمره الله بتبليغه، ولم يُعطفِ اسمُ الرسول ﷺ في الجملة الثانية ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾؛ استِغناءً بما عُلِمَ من الجُملةِ الأُولى"(١).

قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤﴾: "أي: ومن يخالف الله في أمره ونهية، فإن الله شديد العقاب"(٢) كما قال -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥] هذا "واقتصر هاهنا على مشاقة الله؛ لأن مشاقته مشاقة لرسوله ﷺ"(٣)

١٠- صفة الفسق:

قال -تعالى-: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر: ٥]، "لما ختم بأن من شاق رسوله فقد شاقه ومن شاقه فقد شدد عقابه أتبعه ببيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة ﷺ بأمر النبي ﷺ لنخلهم الذي هو أعز عليهم من أبكارهم وهو ينظرون إليه لا يغنون شيئا ولا منعة لديهم"(٤)

فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: "حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فنزلت: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ (٥) أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾"(٦)

والمعنى: "ما قطعتم من ألوان النخل أو تركتموها قائمة على أصولها ولم تقطعوها، فبأمر الله قطعتم وتركتم ما تركتم، وليغيظ بذلك أعداءه ولم يكن فسادًا، وليذل الخارجين عن طاعة الله ﷻ المخالفين أمره ونهيه من اليهود وأوليائهم من المنافقين وغيرهم"(٧)، هذا وقد دلت الآية على

---

(١) التحرير والتنوير، (٧٥/٢٨).

(٢) جامع البيان، (٢٣/ ٢٦٠).

(٣) فتح القدير، (٥/ ٢٣٤).

(٤) نظم الدرر، (٤١٥/١٩).

(٥) اللينة: هي جميع أنواع النخل سوى العجوة، وقيل غير ذلك، ينظر: جامع البيان، لابن جرير (٥١٢/٢٢).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (٥/ ٨٨) ح/ ٤٠٣١.

(٧) جامع البيان، (٥١٢/٢٢).

جواز إفساد أموال أهل الحرب على أي حال كان مثمرا كان أو لا، بالتحريق والتغريق والهدم وغيره إذا دعت إليه المصلحة المتعينة، فخزي الفاسقين أمر مطلوب للشرع وإن ضاع به المال"[(١)].

"الفسق أن يكون خروجاً عن الحق بالكلية، كفسق الكافر"[(٢)].

فقوله تعالى: ﴿وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: أي: "يهود بني النضير، وعدل عن الإتيان بضميرهم ... إلى التعبير عنهم بوصف الفاسقين لأن الوصف المشتق يؤذن بسبب ما اشتق منه في ثبوت الحكم أي يجزيهم لأجل الفسق، والفسق: الكفر"[(٣)].

هذا، ودلَّت الآية الكريمة على أن الفسق صفة ملازمة لبني النضير لا طارئة عليهم، من وجوه ثلاثة:

أولها: أن القرآن عبر عنهم بالاسم "الفاسقين" لا بالفعل "فسقوا"، والاسم يدلّ على الثبوت والاستمرار.

وثانيها: أن الفسق هو العلة التي رُتّب عليها الخزي، مما يعني أنه وصفٌ راسخ لا موقف عابر.

وثالثها: أن القرآن لم يقل (وليخزي الكافرين) بل خصّ الفاسقين، إشارة إلى أن العلة هي الخروج عن طاعة الله تحديدًا.

يستخلص مما سبق إلى أن هذه الصفات التي ذُكرت سابقا تشكل حلقة مترابطة من السلوك المنحرف الذي يقود حتما إلى الهلاك والدمار وهو ما تؤكده خاتمة الآية: ﴿ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ وهذا هو المغزى الرئيسي الذي ينبغي أن يستقر في ذهن القارئ والباحث.

(١) نظم الدرر، (١٩/ ٤١٩) بتصرف، وينظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، (٥/ ٤٧٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن، (٦٣٦) (مادة: فسق).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (٧٦/٢٨) باختصار.

المبحث الثالث: صفات اليهود في المقطع الثاني (من الآية ١١ إلى الآية ١٣):

قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحشر: ١١-١٣] وتنقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها:

لما "ذكر ما حل ببني النضير وما اتصل به من بيان أسبابه، ثم بيان مصارف فيئهم وفيء ما يفتح من القرى بعد ذلك، أعقب بذكر أحوال المنافقين مع بني النضير وتغريرهم بالوعود الكاذبة ليتعلم المسلمون أن النفاق سجية في أولئك لا يتخلون عنه ولو في جانب قوم هم الذين يودون أن يظهروا على المسلمين"(١) هذا وقد كذبهم الله تعالى في ذلك مبينا رهبة المنافقين واليهود وجبنهم من المسلمين فقال -تعالى- مبينا ذلك ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾...إلى قوله تعالى ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الحشر: ١١-١٢].

المطلب الثاني: أبرز الصفات التي تناولتها الآيات:

١- صفة موالاة اليهود للمنافقين:

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ. . ﴾.

إن صفة موالاة اليهود للمنافقين وخذلان بعضهم لبعض في وقت الشدة من الصفات البارزة التي كشف عنها الآيات، وهذه الصفة ليست مجرد تحالف عابر لمصلحة وقتية، بل هي علاقة تقوم على أساس متين من المصالح المشتركة والعداء المشترك للدين الإسلامي وأهله.

"يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذكر عبد الله بن أُبَيّ وأضرابه، بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ الحرب

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/٩٨) .

أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا"(١).

هذا وجملة ﴿ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ مستأنفة لبيان المتعجب منه، والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار، وجعلهم إخوانا لهم لكون الكفر قد جمعهم، وإن اختلف نوع كفرهم(٢) فهم إخوانٌ في الكفر"(٣).

٢- صفة الكذب:

بشر الله تعالى المؤمنين بهزيمة يهود بني النضير بقوله -تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾: "أي: لكاذبون فيما وعدوهم به، إما أنهم قالوا لهم قولا من نيتهم ألا يفوا لهم به، وإما أنه لا يقع منهم الذي قالوا"(٤)

هذا ووجه شهادة الله على كذبهم: «أن ما يسرونه في قلوبهم ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب، فكان هذا المضمر في قلوبهم بالنسبة إلى الله أمر مشهودٌ يُرى بالعين كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون ١١](٥).

يقول ابن عاشور: "وقد أعلم الله رسوله ﷺ بأنهم كاذبون في ذلك بعدما أعلمه بما أقسموا عليه؛ تطمينا لخاطره، لئلا يتوجس الرسول ﷺ خِيفة من بأس المنافقين، وسمى الله الخبر شهادة، لأنه خبر عن يقين بمنزلة الشهادة التي لا يتجازف المخبر في شأنها"(٦)

"وهذا من أعظم دلائل النبوة لأنه إخبار بمغيب بعيد عن العادة بشهادة ﴿ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ ﴾ [الحشر: ٢] فحققه الله عن قريب"(٧).

---

(١) جامع البيان، (٢٢/٥٣٤).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/٢٩).

(٣) فتح القدير، (٥/٢٤٢)

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٨/٧٤).

(٥) محمد القصاب، النكت الدالة على البيان، تحقيق: علي التويجري وآخرون، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (٤/ ٢٦١).

(٦) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٠).

(٧) نظم الدرر، (١٩/٤٤٨).

هذا ولما شهد الله -تعالى- على كذب المنافقين على سبيل الإجمال أتبعه بالتفصيل"[١] فقال تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر: ١٢]، ولقد كان الأمر كذلك "لأنهم أُخرجوا فلم يخرج معهم المنافقين، وقوتلوا فلم ينصروهم، لأن الله نفى نصرهم، ﴿ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾» يعني: بني النضير»[٢] وفيه دليل على صحة النبوة لأنه اخبار بالغيب"[٣]

٣- صفة عدم الفقه:

وبعد أن بشر الله تعالى المؤمنين بهزيمة يهود بني النضير أمامهم أتبع ذلك ببشارة أخرى، وهي أن هؤلاء المنافقين وإخوانهم في الكفر من يهود بني النضير يخشون المؤمنين خشية شديدة فقال تعالى: ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، "يقول -تعالى ذكره- للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله، يقول: هم يرهبونهم أشد من رهبتهم من الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله -تعالى-"[٤].

هذا "والمقصود تشديد نفوس المسلمين ليعلموا أن عدوهم مرهب منهم، وذلك مما يزيد المسلمين إقداما في محاربتهم إذ ليس سياق الكلام للتسجيل على المنافقين واليهود قلة رهبتهم لله؛ بل إعلام المسلمين بأنهم أرهب لهم من كل أعظم الرهبات"[٥]

"ووجه وصف الرهبة بأنها ﴿ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ الإشارة إلى أنه رهبة خفية، أي: "إنهم يتظاهرون بالاستعداد لحرب المسلمين ويتطاولون بالشجاعة ليرهبهم المسلمون، وما هم بتلك المثابة، فأطلع الله رسوله ﷺ على دخيلتهم، فليس قوله: ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ وصفا كاشفا"[٦]

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٩/٥٠٩)

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي (٤/ ٢٦٠).

(٣) الكشاف، (٤/ ٥٨).

(٤) جامع البيان، (٢٢/ ٥٣٦),

(٥) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٢).

(٦) المرجع السابق ص: (١٠٣),

هذا ولما حصلت البشارة من الخبر عن الخوف الشديد الذي في قلوبهم ذكر الله تعالى مذمة أخرى في حقهم، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ تعليل لسبب جبنهم وخوفهم الشديد، فهم "يتوقعون عاجل الشر من المؤمنين ولا يؤمنون بآجل العذاب من الله تعالى، وذلك لقلة فهمهم بالأمور وتوفيقهم للحق"(١).

هذا وانعدام الفقه صفة ثابتة راسخه وليست حالة عارضة مؤقته يقول ابن عاشور: "والإتيان بلفظ ﴿ قَوْمٌ﴾ لما يؤذن بهم من أن عدم فقه أنفُسِهم أمر عرفوا به جميعا وصار ممن مقومات قوميتهم، لا يخلو عنه أحدٌ منهم"(٢).

و"الفقه: التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، وهو أخص من العلم، إذ العلم يقال فيما ظهر وما بطن، والفقه يقال فيما دق وخفي"(٣).

يقول ابن عاشور مبينا ذلك: "ذلك أنهم تبعوا دواعي الخوف المشاهد وذهلوا عن الخوف المغيب عن أبصارهم، وهو خوف الله فكان ذلك من قلة فهمهم للخفيَّات"(٤).

وبهذا نتبين: أن الآية الكريمة قررت صفة راسخة في نفوس اليهود وإن كانوا يحاولون إخفاءها وسترها، وهي أن خوفهم الشديد من المؤمنين أشد من خوفهم من الله تعالى، فكانت مصيبة عليهم وفائدة عظيمة للمؤمنين.

كما نتبين أنه كلما قويت شوكة أهل الكفر زاد مكرهم وإفسادهم قال -تعالى-: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤]. "أي: كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى، فأرادوا مناهضة من ناوأهم، شتته الله عليهم وأفسده، لسوء فعالهم وخبث نياتهم"(٥).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.، (٥/٢٨٩).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص (٦٤٢).

(٤) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٤).

(٥) جامع البيان، (٨/٥٥٩).

المبحث الرابع: صفات اليهود في المقطع الثالث (من الآية ١٤ إلى الآية ١٧):

قال -تعالى-: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾ [الحشر: ١٤ - ١٧].

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها:

"لما أخبر الله تعالى برهبتهم دل عليها"(١) بوصف ظاهري ملموس واقعي دال على جبنهم وتفرق قلوبهم فهي امتداد وتفسير عملي لما قبلها، وأن مثل المنافقين في وعدهم لليهود بمناصرتهم كمثل الشيطان حين زين للإنسان الكفر ثم خذله وتبرأ منه فقال -تعالى- مبينا ذلك ﴿ **لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا**..... ﴾ [الحشر: ١٤].

المطلب الثاني: صفات اليهود في المقطع الثالث من الآية (١٤ إلى الآية ١٧):

١- صفة الجبن والتحيز إلى الأماكن المحصنة:

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ ﴾ [الحشر: ١٤].

جاءت الآية التي بين أيدينا في سياق الحديث عن غزوة بني النضير لتصف حال يهود بني النضير لما أرادوا مواجهة المسلمين، يقول ابن جرير عند هذه الآية "لا يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز أو من خلف حيطان"(٢) "يقاتلون للدفع عنهم ضرورة فلا شجاعة لهم بالمبارزة أو المقابلة وفي هذا أعظم الذل والهوان لهم"(٣).

---

(١) نظم الدرر، (١٩/ ٤٥).

(٢) جامع البيان، (٢٢/٥٣٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٨/٧٤).

قال ابن عطية: "الضمير في قوله ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾: لبني النضير وجميع اليهود، هذا ويحتمل أن يريد بذلك اليهود والمنافقين؛ لأن دخول المنافقين في قوله -تعالى-: ﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾ ممكن بَيِّنٌ"(١)

هذا وقوله -تعالى-: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴾ "هذه الجملة بدل اشتمال من جملة ﴿ ١٣ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾؛ لأن شدة الرهبة من المسلمين تشتمل على شدة التحصن لقتالهم إياهم، أي: لا يقدرون على قتالكم إلا هاته الأحوال" "وهذا أيضا كناية عن مصيرهم إلى الهزيمة ... وإطلاع لهم على تطمين الرسول ﷺ والمؤمنين ودخائل الأعداء"(٢) هذا والواقع المعاصر بشهد بذلك حيث يقاتلون بحصون مشيدة من الطائرات والدبابات فإن كانوا في ساحة القتال فروا لجبنهم بل اخترعوا في زماننا هذا ما يسمى بالمستوطنات وهي قرى خاصة بهم لا يشاركهم فيها السكنى أحد من خلق الله والمحصنة بالقوة العسكرية، ثم اخترعوا الجدار الفاصل بينهم وبين المسلمين في فلسطين حتى لا يدخل إليهم أحد، وهذه عقيدة ثابتة لدى اليهود قديما وحديثا، وهذا الكلام الإلهي يدل على عقلية اليهود التي لا تتغير مع الزمن منذ البدء واليوم وفي المستقبل.

٢- صفة البأس الشديد فيما بينهم:

اليهود بالإضافة إلى هذا الجبن تجد: ﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ ﴾: "أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال: ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾[الأنعام: ٦٥]"(٣).

وقد افتتح الكلام بكلمة ﴿ بَأۡسُهُم ﴾، للاهتمام بالإخبار عنه بأنهم بينهم أي متسلط من بعضهم على بعض، ليس بأسهم على المسلمين، وفيه تهكم"(٤)

فاليهود أعداء فيما بينهم، فهم ليسوا سليمي الصدور، والقلوب فيها الضغناء والحقد

(١) المحرر الوجيز، (٥/٢٨٩).
(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٤) .
(٣) تفسير القرآن العظيم، (٨/١٠).
(٤) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٦).

والحسد لبعضهم، بل وهم نحل وفرق مختلفة متناحرة، وهم والمنافقون أعداء أيضًا وإن أظهروا المودة فيما بينهم، وأدل دليل على ذلك تخليهم بعضهم عن بعض في وقت الشدة.

هذا والآية "استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم، فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد على قول، وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب"(١)

"وقيل هو استئناف بياني؛ لأن الإخبار عن أهل الكتاب وأنصارهم بأنهم لا يقاتلون المسلمين إلى في قرى محصنة المفيد أنهم لا يتفقون على جيش واحد متساندين فيه مما يثير في نفس السامع أن يسأل عن موجب ذلك مع أنهم متفقون على عداوة المسلمين، فيجاب بأن بينهم بأسًا شديدًا وتدابرًا فهم لا يتفقون"(٢).

نتبين من ذلك: شدة عداوة اليهود فيما بينهم وشدة العداوة بينهم وبين المنافقين يظنهم الناظر إلى حالهم مجتمعين على قلب واحد ولذا قال -تعالى-: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾، "أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف"(٣)، فإن اجتماعهم إنما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن، وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم، الموصوف بالشدة"(٤)

٣- صفة الغباء وعدم إعمال العقل:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ "أي: ذلك الاختلاف والتشتت بسبب أنهم قوم لا يعقلون شيئًا ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه"(٥) .

هذا وأتى بلفظ القوم في قوله تعالى: ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ "إيماء إلى أن ذلك من آثار ضعف عقولهم حتى صارت عقولهم كالمعدومة؛ فالمراد: أنهم لا يعقلون المعقِل الصحيح،

(١) إرشاد العقل السليم، (٨/ ٢٣١).
(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٥ -١٠٦).
(٣) تفسير القرآن العظيم، (٨/١٠٠).
(٤) فتح القدير، (٥/٢٣٤).
(٥) فتح القدير، (٥/٢٤٣).

وإسناد الحكم إلى عنوان (قوم) يؤذن بأن ذلك الحكم كالجِبلّة المقوِّمة للقوميَّة"[١].

وقد أورد هنا ﴿ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ وفي الآية التي قبلها ﴿ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾؛ لأن معرفة مآل التشتت في الرأي وصرف البأس إلى المشار في المصلحة من الوهن والفت في ساعد الأمة معرفة مشهورة بين العقلاء، فإهمالهم سلوك ذلك جعلهم سواء مع من لا عقول لهم فكانت هذه الحالة شقوة لهم حصلت منها سعادة للمسلمين"[٢].

نستنتج مما سبق: أن الآية الكريمة فيها تنبيه وتربية للمسلمين ليحذروا أشد الحذر من التخالف.

ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات قوة وشدة على أعدائها إلا إذا كانوا على قلب واحد فالعقل مدار الاجتماع كما أن الهوى مدار الاختلاف والتفرق والانهزام.

٤- صفة عدم الاعتبار والعظة لما حلَّ بغيرهم:

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ ﴾، "لما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى، دل عليها بأمر مشاهد"[٣]. والمعنى: [٤] "مثل هؤلاء اليهود من بني النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته لهم كمثل يهود بني قينقاع الذين عذبهم الله بالجلاء من المدينة أو كمثل مشركي مكة الذين أصابهم ما أصابهم من القتل يوم بدر وذلك قبل وقوع جلاء بني النضير بزمن يسير".

﴿ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ أي: نالهم عقاب الله ﷻ على كفرهم به ثم قال ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾، أي: مؤلم يعني موجعًا في الآخرة، يعني المنافقين وإخوانهم من يهود بني النضير وغيرهم ممن عصى الله -عز وجل- وخادعه سبحانه"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٠٧).

(٢) التحرير والتنوير، (١٠٧/٢٨).

(٣) نظم الدرر، (٤٥٢/١٩).

(٤) ينظر: جامع البيان، (٥٣٨/٢٢) وتفسير القرآن العظيم، (٧٥/٨).

(٥) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، المحقق: مجموعة رسائل علمية بكلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٨م، (١١/ ٧٤٠٢).

٥- صفة الاغترار بالوعد الكاذب:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾ [الحشر: ١٦].

هذا المثل متصل بقوله -تعالى-: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ كما يفصح عنه قوله في آخره ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ ﴾ أي: مثلهم في تسبيبهم لأنفسهم عذاب الآخرة كمثل الشيطان إذ يوسوس للإنسان بأن يكفر ثم يتركه ويتبرأ منه، فلا ينتفع أحدهما بصاحبه، ويقعان معاً في النار، فجملة ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ حال من ضمير ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ أي: في الآخرة"(١).

والمعنى: "مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النضير، النصرة إن قوتلوا أو الخروج معهم إن أُخرجوا، ومثل النضير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد، وإسلامهم إياهم عند شدة حاجتهم إليهم، وإلى نصرتهم إياهم، كمثل الشيطان الذي غرّ إنسانًا، ووعده على اتباعه وكفره بالله، النصرة عند الحاجة إليه، فكفر بالله واتبعه وأطاعه، فلما احتاج إلى نصرته أسلمه وتبرأ منه وقال له: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ في نصرتك"(٢).

كما قال -تعالى-: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، هذا وجملة ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ تعليل كاذب من الشيطان لبراءته من متبعه وإلا فهو لا يخاف الله"(٣).

ومن تمام المثل في الآية: قوله ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾ أي: كان عاقبة الممثل بهما خسرانهما معا، وكذلك يكون عاقبة الفريقين

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٠٨ - ١٠٩).
(٢) جامع البيان، (٢٢/ ٥٤٠ - ٥٤١).
(٣) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٠٩).

الممثلين أنهما خائبان فيما دبَّرا وكادا للمسلمين"[١]، "والمقصود من ذلك بيان أن الشيطان وأتباعه من البشر لن يضروا المؤمنين بهذا الكيد الذي يكيدونه لهم وأن ما قد يقع للمؤمنين من ضر فهو مما قدر الله لهم وشاء فيهم، وقد يجيء هذا الضر عن طريق الشيطان وعن طريق غيره ولكن لا الشيطان ولا غيره يستطيع أن يضر أحدًا إلا من شاء الله له هذ الضر"[٢].

نتبين من ذلك: أن الله -تعالى- جمع للمنافقين واليهود بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة بالنار مجازاة لهم على ظلمهم وهو مصير كل ظالم وبئس المصير، لقوله -تعالى-: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ .

هذا وتمر السنون والأعوام وتظل غزوة النبي ﷺ لبني النضير خاصة نبراسا وهاديا يضيء لنا الطريق في تعاملنا مع اليهود عامة وأخذ الحذر والحيطة منهم مهما أعطوا من المواثيق والعهود كما أنها تضمنت عبرًا خالدة للمؤمنين، أهمها أن النصر لا يكون إلا من عند الله العزيز الحكيم الذي يدبر الأمر كله سبحانه الله العلي العظيم.

(١) إعراب القرآن، درويش (١٠/ ٥٢).

(٢) الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ، (٢٨/ ٨٣).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات:

١. قدرة الله ﷻ وقوته وعظيم نعمته على المؤمنين في إخراجه يهود بني النضير مع استبعاد المؤمنين خروجهم، واغترار بني النضير بقوة حصونهم، قال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

٢. جمال الفاصلة القرآنية في بيان الدلالة المعنوية واللفظية للنص القرآني ومنها ﴿العزيز الحكيم﴾ ﴿لا يعقلون﴾ ﴿لا يفقهون﴾.

٣. انفردت سورة الحشر بأبنية فريدة دالة على صفات اليهود وهي: مانعتهم، الجلاء، رهبة، محصنة.

٤. السورة أوضحت إجلاء يهود بني النضير من المدينة المنورة.

٥. **أظهرت الدراسة صفات عدة لليهود أبرزها:**

١- كفر الجحود.

٢- صفة المشاركة في التخريب الذاتي.

٣- صفة الغرور والاعتماد على القوة المادية.

٤- صفة الكذب.

٥- الغفلة والجهل بمكر الله وقوته.

٦- صفة الفسق.

٧- صفة المشاقة والمعاداة لله – عز وجل- ورسوله ﷺ.

٨- صفة عدم الفقه.

٩- صفة عدم إعمال العقل.

١٠- صفة الجبن والتحيز إلى الأماكن المحصنة.

١١- صفة البأس الشديد فيما بينهم.

١٢- صفة عدم الاعتبار والعظة لما حلَّ بغيرهم:

التوصيات:

١-إعداد دراسات عن أهم السور التي تناولت صفات اليهود وربطها بمحور السورة.

٢- إعداد دراسات في المنهج القرآني في التعامل مع اليهود.

المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكريم**، محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود العمادي)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٣. **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – الرياض، ٢٠٠٣م.

٤. **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية — تونس، ١٩٨٤م.

٥. **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٦. **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٨٦م.

٧. **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

٨. **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين على الكافية الشافية**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، دار ابن القيم، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٩. **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام المعافري (ابن هشام)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت.

١٠. **الصلاة**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عدنان البخاري (راجعه: سليمان العمير وآخرون)، دار عطاءات العلم – الرياض، الطبعة الرابعة، ٢٠١٩م.

١١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الريان للتراث – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

١٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠١م.

١٣. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٤. **النكت الدالة على البيان**، محمد القصاب، تحقيق: علي التويجري وآخرون، دار ابن القيم – الدمام, ٢٠٠٣م.

١٥. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل علمية بكلية الدراسات العليا بجامعة الشارقة، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م.

١٦. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٢٠٠٠م.

١٧. **تفسير القرآن العظيم**، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ابن كثير)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٨. **تفسير المراغي**، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة، ١٩٤٦م.

١٩. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (بالتعاون مع مركز البحوث ود. عبد السند حسن يمامة)، دار هجر – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٠. **زاد المعاد من هدي خير العباد**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٩٩٤م.

٢١. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج بن محمد (ابن الجوزي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٢. **عون الرحمن في تفسير القرآن**، سليمان اللاحم، دار ابن الجوزي – الرياض، ٢٠٢٠م.

٢٣. **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م.

٢٤. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية.

٢٥. **فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب – دمشق / بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٢٦. **فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام**، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صبحي رمضان، المكتبة الإسلامية – القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٧. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة، الطبعة الثالثة.

٢٨. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

٢٩. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م – ١٩٨٤م.

Romanization of sources (APA 7th Style)

1. Al-Imadi, Abu al-Suud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa. (n.d.). *Irshad al-Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim*. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
2. Al-Naysaburi, Abu al-Hasan Ali bin Ahmad bin Muhammad al-Wahidi. (1992). *Asbab Nuzul al-Quran* (E. A. Al-Humaydan, Ed.) (2nd ed.). Dar al-Islah.
3. Al-Jarboo, Abdullah bin Abdul Rahman. (2003). *Al-Amthal al-Quraniyyah al-Qiyasiyyah al-Madroubah lil-Iman billah*. Imadat al-Bahth al-Ilmi bil-Jamiat al-Islamiyyah.
4. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir. (1984). *Al-Tahrir wa-al-Tanwir: Tahrir al-Mana al-Sadid wa-Tanwir al-Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid*. Al-Dar al-Tunisiyyah.
5. Ibn Juzi al-Kalbi, Abu al-Qasim Muhammad bin Ahmad bin Muhammad bin Abd Allah. (1995). *Al-Tashil li-Ulum al-Tanzil* (A. Al-Khalidi, Ed.) (1st ed.). Dar al-Arqam.
6. Al-Khatib, Abdul Karim Yunus. (1986). *Al-Tafsir al-Qurani lil-Quran*. Dar al-Fikr al-Arabi.
7. Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad. (1964). *Al-Jami li-Ahkam al-Quran* (A. Al-Bardouni & I. Atfayysh, Eds.) (2nd ed.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.
8. Al-Saadi, Abd al-Rahman bin Nasir bin Abd Allah. (1987). *Al-Haqq al-Wadih al-Mubin fi Sharh Tawhid al-Anbiya wa-al-Mursalin ala al-Kafiyah al-Shafiyah* (2nd ed.). Dar Ibn al-Qayyim.
9. Ibn Hisham al-Maafiri, Abd al-Malik bin Hisham. (n.d.). *Al-Sirah al-Nabawiyyah* (M. Al-Saqqa, I. Al-Abyari, & A. Shalabi, Eds.). Dar al-Marifah.
10. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Abu Abd Allah Muhammad bin Abu Bakr bin Ayyub. (2019). *Al-Salah* (A. Al-Bukhari, Ed.) (4th ed.). Dar Ataat al-Ilm.
11. Al-Zamakhshari, Mahmud bin Umar bin Ahmad. (1987). *Al-Kashshaf an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil wa-Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Tawil* (3rd ed.). Dar al-Rayyan lil-Turath.
12. Ibn Atiyyah al-Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib. (2001). *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz* (A. A. Al-Shafi, Ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
13. Al-Isfahani, Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad al-Raghib. (1991). *Al-Mufradat fi Gharib al-Quran* (S. A. Al-Dawudi, Ed.) (1st ed.). Dar al-Qalam.
14. Al-Qassab, Muhammad bin Ali. (2003). *Al-Nukat al-Dallah ala al-Bayan* (A. Al-Tuwaijri et al., Eds.). Dar Ibn al-Qayyim.
15. Makki bin Abi Talib al-Qaysi, Abu Muhammad. (2008). *Al-Hidayah ila Bulugh al-Nihayah* (Graduate Studies Committee, Ed.). Jamiat al-Shariqah.
16. Al-Saadi, Abd al-Rahman bin Nasir bin Abd Allah. (2000). *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan* (A. M. Al-Luwayhiq, Ed.). Muassasat al-Risalah.

17. Ibn Kathir al-Dimashqi, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail bin Umar. (1998). *Tafsir al-Quran al-Azim* (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
18. Al-Maraghi, Ahmad Mustafa. (1946). *Tafsir al-Maraghi*. Sharikat Maktabat Mustafa al-Babi al-Halabi.
19. Al-Tabari, Abu Jafar Muhammad bin Jarir. (2001). *Jami al-Bayan an Tawil Ay al-Quran* (A. A. Al-Turki, Ed.) (1st ed.). Dar Hajar.
20. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Abu Abd Allah Muhammad bin Abu Bakr bin Ayyub. (1994). *Zad al-Maad min Hadi Khayr al-Ibad* (27th ed.). Muassasat al-Risalah.
21. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj bin Muhammad. (2001). *Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir* (A. Al-Mahdi, Ed.) (1st ed.). Dar al-Kitab al-Arabi.
22. Al-Lahim, Suleiman bin Ibrahim. (2020). *Awn al-Rahman fi Tafsir al-Quran*. Dar Ibn al-Jozay.
23. Darwish, Muhyi al-Din bin Ahmad Mustafa. (1994). *Irab al-Quran wa-Bayanuhu* (4th ed.). Dar Ibn Kathir.
24. Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad bin Ali. (n.d.). *Fath al-Bari bi-Sharh Sahih al-Bukhari*. Al-Matbaah al-Salafiyyah.
25. Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad. (1993). *Fath al-Qadir: Al-Jami bayna Fannay al-Dirayah wa-al-Riwayah* (1st ed.). Dar Ibn Kathir; Dar al-Kalim al-Tayyib.
26. Ibn Uthaymin, Muhammad bin Salih. (2006). *Fath Dhi al-Jalal wa-al-Ikram bi-Sharh Bulugh al-Maram* (S. Ramadan, Ed.). Al-Maktabah al-Islamiyyah.
27. Al-Zarqani, Muhammad Abd al-Azim. (n.d.). *Manahil al-Urfan fi Ulum al-Quran* (3rd ed.). Matbaat Isa al-Babi al-Halabi.
28. Al-Razi, Abu Abd Allah Muhammad bin Umar Fakhr al-Din. (1999). *Mafatih al-Ghayb: Al-Tafsir al-Kabir* (3rd ed.). Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
29. Al-Biqai, Burhan al-Din Abu al-Hasan Ibrahim bin Umar. (1969–1984). *Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa-al-Suwar* (1st ed.). Dairat al-Maarif al-Uthmaniyyah.